﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦﴾

[الأنعام: 86]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الأنبياءُ الَّذين لم يكن لهم شأنٌ مع الملوك

بعد أن ذكرَ مِنَ الأنبياءِ مَن كان لهم مواقفُ وشأنٌ ما معَ الملوكِ، "أتبعَهم مَن لم يكُن بينَهُما وبينَ الملوكِ أمرٌ، وهدى بهما مَن كان بينَ ظَهرانَيهِ، فقالَ: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ﴾"[1].

❁ المَعْنى الإجْمالِيُّ:

أربعة أنبياءَ آخرين ممَّن فضَّلَ اللهُ على العالَمينَ

يخبرُ اللّهُ تعالى من تمامِ نعمتِهِ أنَّه هدى "إسماعيلَ واليسعَ ويونسَ ولوطًا ﷺ، وكلُّ هؤلاءِ الأنبياءِ وعلى رأسِهم النَّبيُّ محمَّد ﷺ، فضَّلناهم على العالَمين"[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبةُ اقترانِ الأنبياءِ في قولِهِ: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ﴾:

قرنَ بينَ الأنبياءِ الأربعةِ لاشتراكِهم بعدمِ بقاءِ أتباعٍ لهم

ذكرَ اللّهُ تعالى الأنبياءَ الأربعةَ ﷺ مُقترنينَ معًا؛ "لأنَّهم لم يبقَ لهم منَ الخلقِ أتباعٌ ولا أشياعٌ"[3]، ذلك أنَّ وجودَ دعوتِهم لم ينتقلْ إلى أشياعِهم من بعدِهم، فاندثرَت دعوتُهم، وما بقي لهم ذكرٌ إلَّا في القرآنِ، باعتبارِ شهرتِهم في زمانِهم، لكنَّ مساحةَ تأثيرِهم من بعدِهم كانَت معدومةً، فلم يبقَ لهم أتباعٌ يذكرون.

عِلَّةُ تأخيرِ ذكرِ إسماعيلَ بعدَ عيسى وغيره، وهو سابقٌ لهم:

أخَّرَ ذكرَ إسماعيلَ إلى هنا؛ لاستطرادِ السِّياقِ بذكرِ ذرِّيَّةِ إسحاقَ

لمّا ذكرَ إسحاقَ أعقبَهُ بذكرِ ذرِّيَّةِ إبراهيمَ منه، فلمَّا انتهى من ذلك ذكرَ إسماعيلَ، في قوله تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/175 - 176.

(2) جماعة منَ العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/138.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/576.

﴿وَلُوطًا﴾، فهو إنَّما "أخَّرَ ذكرَهُ إلى هنا؛ لأنَّه ذكرَ إسحاقَ، وذكرَ أولادَهُ من بعدِهِ على نسقٍ واحدٍ، فلهذا السَّببِ أخَّرَ إسماعيلَ إلى هنا"[1].

فائدةُ الاعتراضِ بجملة ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

اعـــــتراضٌ للـتَّـصـريـحِ بـإنـعـامِ اللـهِ تعالى عليهم، بـتـفـضـيـلِـهـم بأنعمِهِ

الجملةُ مُعترِضَةٌ، "والجملةُ اعتراضٌ كأختِها"[2]، جيءَ بهذا الاعتراضِ للتَّصريحِ بإنعامِ اللهِ تعالى عليهم، بتفضيلِهم بما شاءَ منَ الحججِ، والنُّبوَّةِ، وكمالِ الصَّلاحِ، وهي أنعمٌ جليلةٌ وأثيرةٌ، والتَّذكيرُ بالتَّفضيلِ على العالَمينَ يدخلُ في سياقِها، ويُبرِزُ النِّعمَ ويجلِّيها.

غرضُ تقديمِ ﴿وَكُلًّا﴾ على الفعلِ ﴿فَضَّلْنَا﴾:

تقديمُ المفعولِ بـه للاهـتـمـامِ، واسـتـقـلال كُـلٍّ بالتَّفضيلِ على عصرِهِ

قولُهُ جلَّ شأنُه: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا﴾، جاءَ المفعولُ به مُقدَّمًا على فعلِهِ، وأصلُ الكلامِ: (فضَّلنا كلًّا)، فقدَّمَ المفعولَ به على الفعلِ للنَّصِّ على أنَّ التَّفضيلَ شملَهم فردًا فردًا؛ أي: كلُّ واحدٍ منهم فضَّلناه، فلم يخرجْ أيُّ واحدٍ عنِ التَّفضيلِ، وفيه أنَّ التَّفضيلَ كانَ لكلِّ واحدٍ بالأصالةِ لا بالتَّبعيَّةِ، فليس تفضيلُ أحدٍ منهم لكونِهِ ابنَ أحدِ المفضَّلين، بل لاستحقاقِهِ ذلك؛ وفي ذلك إعلامٌ بمكانتِهم وعلوِّ شأنِهم.

حذفُ المضافِ إليه في: ﴿وَكُلًّا﴾:

حـذفُ المضافِ إليـه تـعـويـضًا عـلى الـعـلـمِ بـه ولغرض الإيجاز

حذفَ المضافَ إليه، ودلَّ عليه بالتَّنوين؛ "أي: كلُّ أولئك المذكورين من إسحاقَ إلى هنا"[3]، هم مفضَّلونَ، والغرضُ من ذلك الإيجازُ، مع أنَّ المعنى لقولِهِ: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: "أي: كلُّ واحدٍ من هؤلاءِ فُضِّلَ على عالَمِه الَّذي كانَ يعيشُ فيه، إذ كان رسولَ اللهِ المبعوثَ لهدايةِ عالَمِه هذا، وهو بهذهِ الصِّفةِ صفوةُ هذا العالم، والإنسانُ المتخيَّرُ لرسالةِ السَّماءِ"[4].

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/455.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/159، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/343.
(3) القونويّ، حاشية على البيضاويّ: 8/179، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/343.
(4) الخطيب، التّفسير القرآنّي للقرآن: 4/229.

فائدةُ التَّعبيرِ بـ ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا﴾:

عـــــبَّرَ عـن تفضيلِهم بلفظِ (وكُـلًّا) لإثباتِ الـحـكـمِ لـكـلِّ واحدٍ منهم

أرادَ تعالى أن يخبرَ أنَّه فضَّلَ كلَّ واحدٍ منهم، فعبَّر عن ذلك بـ (كلٍّ)؛ "أي: وكلَّ واحدٍ من أولئك المذكورين ﴿فَضَّلْنَا﴾ بالنُّبوَّةِ لا بعضَهم دونَ بعضٍ"[1]؛ لأنَّ (كلًّا) يدلُّ على الاستغراقِ، "وحكمُ الاستغراقِ أن يَثبُتَ الحُكمُ لكلِّ فردٍ فردٍ، لا للمَجموعِ، والمرادُ تفضيلُ كلِّ واحدٍ منهم على العالَمينَ من أهلِ عصرِهِ، عدا مَن كانَ أفضلَ منه، أو مُساويًا لهُ"[2].

دلالةُ إسنادِ الفعلِ إلى ضميرِ العظمة في ﴿فَضَّلْنَا﴾:

إسنادُ التَّفضيلِ إليهِ تعالى بصيغةِ التَّعظيمِ؛ لتعظيمِ التَّفضيلِ

عظَّمَ التَّفضيلَ بإسنادِهِ إليه تعالى، بضميرِ الجمعِ الدَّالِّ على التَّعظيمِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَضَّلْنَا﴾؛ "أي: بما لنا منَ العظمةِ بتمامِ العلمِ وشمولِ القُدرةِ"[3]، وفي ذلك تعظيمٌ لتفضيلِهِ لهم، وإشارةٌ إلى أنَّه لا تفضيلَ بعدَهُ.

دلالةُ اللَّامِ في قولِهِ: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على الاستغراقِ المقيَّدِ:

تفضيلُ لوطٍ على العالَمين في زمانِهِ، لا يعني: أنَّـه أفضلُ من إبراهيمَ

دلَّتِ اللَّامُ في قولِهِ: ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على "الاستغراقِ العُرفيِّ"[4]، فقد كان لوطٌ في عصرِ إبراهيمَ، وإبراهيمُ أفضلُ منه"[5]، فهو مُفضَّلٌ على العالَمين في زمانِهِ؛ أي: العالَمين من غير إبراهيمَ، فإنَّ تفضيلَ لوطٍ لا يدلُّ على أنَّه أفضلُ من إبراهيمَ، حيث إنَّهما في عصرٍ واحدٍ، والنَّصُّ يجب أن يُستثنَى منه ما لا يدخلُ في دائرةِ الاستغراقِ.

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/158، والآلوسّي، روح المعاني: 4/203.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/343.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/177.

(4) لام الاستغراق، وهو قسمان: إمَّا حقيقيّ أو عرفيّ، ولأنَّه إن أشيرَ بها للحقيقة في ضمن جميعِ الأفرادِ الَّتي يتناولُها اللَّفظُ بحسب اللُّغةِ، فهي للاستغراقِ الحقيقيِّ، وإن أشيرَ بها للحقيقةِ في ضمن جميعِ الأفرادِ الَّتي يتناولُها اللَّفظُ بحسب العرفِ، فهي للاستغراقِ العرفيِّ، كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾، أي: سحرةُ مملكتِهِ، لا كلُّ سَحَرَة العالم. يُنظر: الدّسوقيّ، حاشية على مختصر المعاني: 1/543 - 544.

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/343.

دلالةُ العطفِ بالواوِ بين أسماءِ الأنبياءِ مطلقَ الجمع:

عـطـفُ الأنـبـيـاءِ بـحـرفِ الـــواوِ جـامـعٌ لـهـم في حكمِ التَّفضيلِ

التَّرتيبُ بذكرِ الأسماءِ، إمَّا بحسبِ الفضلِ والدَّرجةِ، أو بحسب الزَّمانِ والمدَّةِ، والتَّرتيبُ بحسب هذين النَّوعين غيرُ مُعتَبرٍ في هذه الآيةِ؛ لأنَّ "حرفَ الواوِ لا يُوجِبُ التَّرتيبَ، وأحدُ الدَّلائلِ على صحَّةِ هذا المطلوبِ هذه الآيةُ، فإنَّ حرفَ الواو حاصلٌ هاهنا، مع أنَّه لا يُفيدُ التَّرتيبَ البَتَّةَ، لا بحَسَبِ الشَّرفِ، ولا بحسَبِ الزَّمانِ"[1].

السِّرُّ بذكرِ الأنبياءِ بهذا التَّرتيبِ في مجملِ الآيةِ الكريمةِ:

جاءَ ذكرُ الأنبياءِ مُرتَّبًا لاعتباراتٍ عـديـدةٍ، تُـفـهَـمُ بـالـتَّـأويـلِ لا بالتَّقييدِ

وقد التمسَ بعضُ العلماءِ حكمةً لهذا التَّرتيبِ، فذكروا أنَّ المناسبةَ في ترتيبِهم أنَّ إسحاقَ ويعقوبَ موهبةٌ لإبراهيم، وهما أبٌ وابنُه، فلمَّا ذكرَهما أردفَ بذكرِ نبيِّين من ذرِّيَّتِهما، وهما أبٌ وابنُه؛ داوود وسليمان، وبدأَ بهما؛ لأنَّهما نالا مجدي الدُّنيا والآخرة، بالنُّبوءَةِ والمُلكِ، ثمَّ أردفَ بذكرِ نبيَّين تماثلا في الضُّرِّ والصَّبرِ؛ أيُّوب ويُوسف، ثمَّ بذكرِ رسولَين أخَوَين: موسى وهارون، فهؤلاء السِّتَّةُ شمَلَتهم الفاصلةُ الأولى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، ثمّ بذكرِ نَبِيَّيۡنِ؛ أبٍ وابنِه؛ في قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ﴾، فناسبَ أن يُذكرَ بعدَهما رسولانِ لا ذُرِّيَّةَ لهما: عيسى وإلياس، وهما مُتماثلان في أنَّهما رُفِعا إلى السَّماء، وابتدئ بعيسى عطفًا على يحيى؛ لأنَّهما قريبان ابنا خالةٍ، ولأنَّ عيسى رسولٌ، وإلياسَ نبيٌّ غيرُ رسولٍ، وهؤلاءِ الأربعةُ تضمَّنَتهُمُ الفاصلةُ الثَّانيةُ: ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وعطفَ اليسعَ لأنَّه خليفةُ إلياسَ، وأدمجَ بينَه وبينَ إلياسَ إسماعيلَ تنهيةً بذكرِ النَّبيِّ الَّذي إليه ينتهي نسبُ العربِ من ذرِّيَّةِ إبراهيمَ، وخُتِمُوا بيونسَ ولوطٍ؛ لأنَّ كلًّا منهما أُرسِلَ إلى أمَّةٍ صغيرةٍ، وهؤلاءِ الأربعةُ تضمَّنَتهم الفاصلةُ الثَّالثةُ: ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]،

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/52.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/347 - 348، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/182 - 183.

وبهذا يظهرُ أنَّ القرآنَ قد ذكرَهُم "فيما يبدو مجموعاتٍ ظاهرةً، تجمعُ كلَّ مجموعةٍ منها صفةٌ بارزةٌ فيها"[1].

نكتةُ الاعتراضِ بالصِّفاتِ خلال سردِ الأسماءِ:

تضمينُ مسردِ الأسماءِ صفاتِ الفضلِ والثَّناءِ، نفيٌ للسَّآمةِ

وردَ في الآياتِ ثمانيةَ عشرَ اسمًا منَ الأنبياءِ ﷺ، وقد تخلَّلَ تلك الأسماءَ ثلاثةُ اعتراضاتٍ، وهي قولُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، وقولُهُ: ﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، وقولُهُ: ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، ولم يجمعْ تلك الاعتراضاتِ في آخرِ ذكرِ الأسماءِ تعقيبًا عليها، بل جعلَها ضمنَ ذلك السَّردِ تنويعًا للكلامِ، وقصدًا لدفعِ الملَلِ والسَّآمةِ النَّاشئةِ عن رتابةِ التَّعبيرِ المتولِّدِ منَ الاكتفاءِ بذكرِ الأسماءِ الكثيرةِ، فعدلَ القرآنُ عن ذلك لذلكَ.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2575.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي عشر، سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 11 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-63-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 11 : سورة الأنعام من الآية 59 إلى الآية 123.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-63-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9795022 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»